د. أحمد تيمور

بَوحُ الفاءِ المكسورة

شعر

الكتاب : بوح الفاء المكسورة
شعر
المؤلف: أحمد تيمور
تاريخ النشر: ١٩٩٩م



الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب

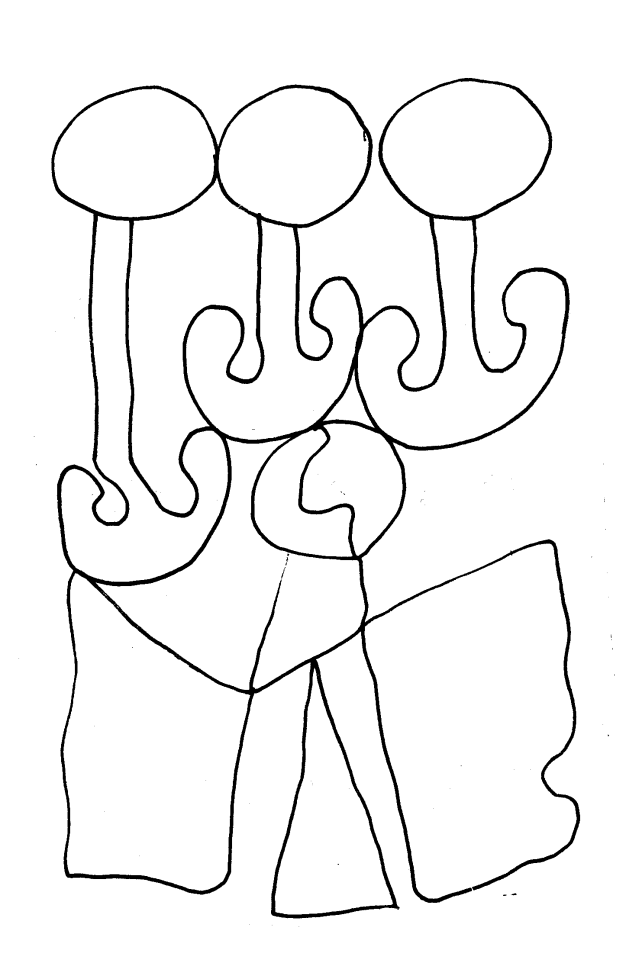
رقم الايداع بدار الكتب ١٧٤٨٣/١٩٩٨

I.S.B.N 977 - 01 - 6031 - 8

الغلاف
والرسوم:
للفنـان: محمود الهندى

بوح الفاء المكسورة

استهلال لا سبيل إلى تجنُّبه



لمن باحت الفاءُ؟
للفاءِ ألاَّ تبوحَ
سوى للذين يلمُّون أزهارها
من ربى جنَّةِ الأبجديَّه

بكفٍّ
توتِّرها الصبواتُ
وقلبٍ
ترقرقُهُ الصلواتُ
وعينٍ
بدمع الأسي والرجاءِ
نديّه

ويدعونها معهم للمحافلِ
حتَّي تحدِّث جمهورها
عن هموم الكتابةِ
للنَّارِ
عبر الحريقِ
وعبر البريقِ

وعبر الدخانِ
وقد حرَّر الشَّمْعَ
من أسرهِ في المكانِ
وعبر الزمانِ
من النقطةِ الأزليَّةِ
للنقطةِ الأبديَّه

لمن باحت الفاءُ

لي؟!

إنَّها لم تبُحْ

لم تبُحْ

ولذلكَ

قرَّرتُ أن أكسر الفاءَ

حتي تبوحَ

فباحت بأسرارها السرمديّه

وليت الذي كانَ
ما كانَ
إنَّ الجراحَ التى فتَّحتْها
بدفتر أشعاريَ الفاءُ
ياسادتي
جسديَّه

هنا

جسدٌ

يتمدَّدُ

من حافة الماءِ للماءِ

ينزفُ

فى كلِّ وادٍ سحيقٍ

وينزفُ

من كلِّ فجٍّ عميقٍ

فيجري االنزيفُ
تواريخَ حمراءَ
من كربلاءَ
وقرطبةٍ
وطليطلةٍ
إنَّهُ جسدُ الطيفِ
مسترسلٌ
في الرؤى

جسدٌ

قد قرأنا

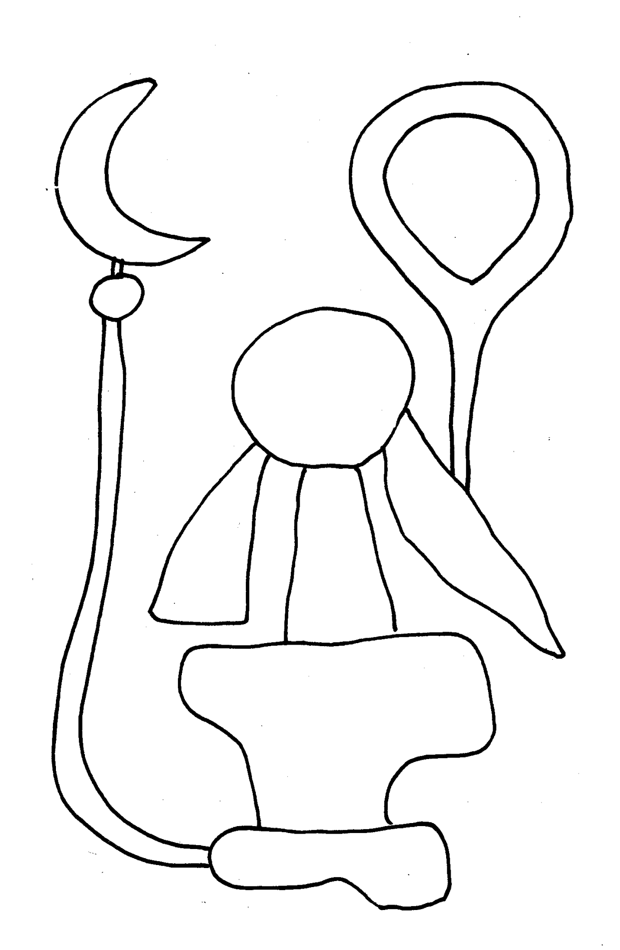
على دمِهِ المتخثِّرِ

فوق القرى والمدائنِ

أمَّ الكتابِ

ويس

والصمديَّه



لو تعلم

بوح الفاء المكسورة

لوتعلم ما أعلمُ
لتيبَّس دمكَ المتدفِّق من ينبوع القلبِ
كأنفاس الكروان الهاجعِ
موسيقى خافتةً
في أعراق الصفصافِ

ولو تعلم ما أعلمُ
لتدفّق دمكَ المتيبّسُ
مثل فصوص الرمّانِ
وأرشدَ عنّي السابلةَ من اللؤلؤِ
في مدن الأصدافِ

وأخبر عن أيّامى المخبوءةِ
في أحزانى السريّةِ
عن عشقى
إحدى فتيات الغجر من الجنّ
وعن عينيها الراكضتين بذاكرتي
ذئبينِ
يمصّان طمأنينةَ قطعان خِرافي

لوتعلم ما أعلمُ
لا نْقشع غمار الزَّبَد عن السرِّ المغمورِ
وخرَّ خمارُ الخمرِ عن المخمورِ
وأفصح فعلُ الأمر عن اسْم المأمورِ
وأقبل تابوت العهد المنسيِّ
يصاحبه ترتيلٌ كهنوتيٌّ من مزموري
وتعرَّتْ
بين جذور الأحمد وجذوع التيمورِ
سلاميّاتُ وليِّ الحب المطمورِ
بأمشاج الأشجان المشدودة شدّاً
بين أسى قلبي وحنين شغافي

لو تعلم ما أعلمُ
لا نْسحب خريرُ الماء من الصّنبورِ
إلى الأنبوبِ
إلى النّهر.. ليسبح ضدّ التيّارِ
إلى الهضبات الحبلى بالغيمِ
إلى الغيمِ
إلى خزّان البلل الكونيِّ
وحبس الرّعد هنالكَ
فى أقبية الورق النشّافِ

سألتُكَ ألاَّ تسألنى

سألْتُكَ

ألاَّ تسألني

فالديكةُ

فى فجرى بكماءُ

يشكُّ الخيطُ الأبيضُ رايتَهُ

فى صارية الخيطِ الأسودِ

وهى منكَّسة الأعرافِ

سألتكَ
ألاَّ تسألني
بعد الحلاَّج وصيحتهِ
أصبح صمتي المُصمَتُ
دستورَ مواثيقي
وسكوتي المتلفِّتُ
مرجعَ أعرافي

لزهور الجنَّةِ
دربٌ من شوكٍ ناريٍّ
يصدر من جلد السائر فيهِ
نقيقُ ضفادعَ تتلظَّى
ويرفرف من بين أصابع قدميهِ
حمامٌ مشتعلٌ
للجنَّة دربٌ من نارٍ
يُقنعنا أن نبقى دهراً
فى قبضة وادى الأعرافِ

سألتُكَ

ألاَّ تسألنى

أن أخرج عن إيقاعي

فأنا لم أبْكِ

بما يسمح لدموعي المسفوحةِ

بينَ سطور رقاعي

أن تنزح عن قاعي

أصقاعي

وتشمِّسها فوق ضفافي

وأنا لم أضحكْ

ضحكَ

يقلبني كالجورب بين يديكَ

ولن

فأنا مشغولٌ

عن شهوة بوحي الجامحةِ

ـ جموح ظباء الفلواتِ المعزولةِ ـ

بوقار عفافي

وأنا

ـ رغم الشّظف الطارى

وشحوب محيّا أقطارى

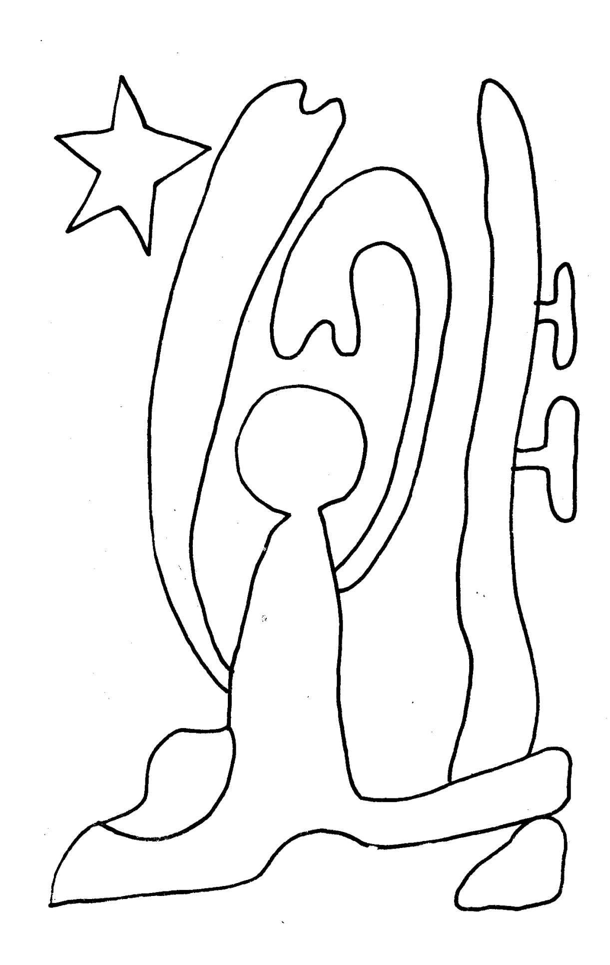
ومؤامرة رياح الغرب الشرقيّةِ

هذا الفصل على هطّالة أمطارى ـ .

راضٍ مرضىٌّ

مهما زايدتَ على صمتى تبراً

بتراب كفافي



بابٌ فى الجهل

لا تسألْني عمّا أعلمُ

فالجهل فِراشٌ من ديباجٍ داجٍ

ورفارفُ..

كسوتُها خزُّ خدودٍ

وبطانتُها مخملُ أوداجٍ

وحشايا من ريشِ نعامٍ

غيّبَ في الرملِ هواجسَهُ

حتى نُتِفَ

فلم يأبهْ للنتّافِ

هو الجهل موائدُ عائمةٌ
مدعوٌّ لمقاعدها
ذو الخطوة فوق الماءِ
من الدّهماءِ
هو الجهل مواجدُ هائمةٌ
ترعى حركتها فينا
عن بُعدٍ..
عقبانٌ حائمةٌ
فوق فيافينا
تُولينا شرفَ الإشرافِ

هو الجهل دوابٌّ
ـ أضأل من أن يحضُرها من سبأ ضآلتها
عفريتُ المجهرِ ـ
في حدقتنا نائمةٌ
وهو نجومٌ أدنى من منظار المرصدِ
تحت نوافذنا قائمةٌ
وهو مسرّاتٌ دائمةٌ دائمةٌ
أوقفتُ عليها زهرة عمري
فذوَتْ
وتبقّى العطرُ نصيبَ الوقّافِ بأوقافي

فالجهلُ

قيامٌ بمقامٍ

لايدرك قمّته إلاّ

ذيّاك الواصلُ

فى معراج العشق إلى

إحدى نقطتي القافِ

هنالكَ

ألقى في قلبي أنشوطتهُ

فعدا القلبُ..

جموحاً وعنيداً

لكنْ كيف يروغ بعيداً

والعشقُ

هو الممسك وقع خطاي بيدِه

وهو القافي

فالجهل لدى العشّاق مقامٌ
تتدلّى من قبّتهِ مشكاةٌ
يلجأُ قرص القمر إليها
حين يضيق به الشّهر العربيُّ
وقرص الشمسِ
إذا ما أهدر دمَهُ الأوقيانوسُ الغربيُّ
مقامٌ يتآلف فيه القرصانِ
تمام الإيلافِ

مقامٌ..

في باحتِه

أشخاصٌ لا ظلّ لهم

وبدون سواعدَ أو هامٍ

يصطادون ثعالبَ من أوهامٍ

بسهامٍ

ليس يراها بالعين الثالثة المخفيّةِ

بين الجفنين الخامس والسادسِ

غيرُ الشوّافِ

مقامٌ..
حائطه الدائرُ مكسوٌّ
بفراءٍ
يختلج إذا مرّرتَ الكفَّ عليهِ
ويعوي في صوتٍ مهموس جدًّا
فتجاوبهُ من أوبار الدّببة همهمةٌ
تتّهم من امْتهن الصيدَ
ولكنّكَ ما إن تربّت بحنانٍ
فوق الخصلات البكّاءة تهدا
ويقرّ نشيجُ الأصوافِ

مقامٌ

مفروشٌ بالخارطة الحيَّة للأرضِ

فخذ حذركَ.. لا تطأ المتوسِّطَ

حتَّى لا تمتلىء شوارع دمياطَ

مياهًا مالحةً

ورشيدِ سمكًا بورياً

واقفزْ ـ مغفور الذنبِ ـ

إلى برِّين بأوروبَّةَ:

لاتينيٌّ وسلافي

للجهل لدى العشّاق مقامٌ

يلبس من يتعرّى في ساحتهِ

وعلى سعة مساحتهِ

حالٌ

أطيبُ من حال الوردةِ

أنعمُ من حال القشدةِ

أشهى من شهدٍ..

يُرشف رشفاً

من بين ثنايا نحلٍ مضيافِ

حالٌ

ألطفُ من روح نباتٍ

يتراوح بعد العصر وقبل المغربِ

في سِنَةِ سباتٍ

أمرأُ من ريق فتىً

شُعشعَ برضاب فتاةٍ

أهنأُ من ميعادٍ لفّهما بعد شتاتٍ

أدفأُ من نَفَسِ الوصل الدافي

حالٌ

أشجي

من ذاك اللحن العصفوريِّ المسكونِ

بإيقاعِ مئات النّايات المنصوبةِ

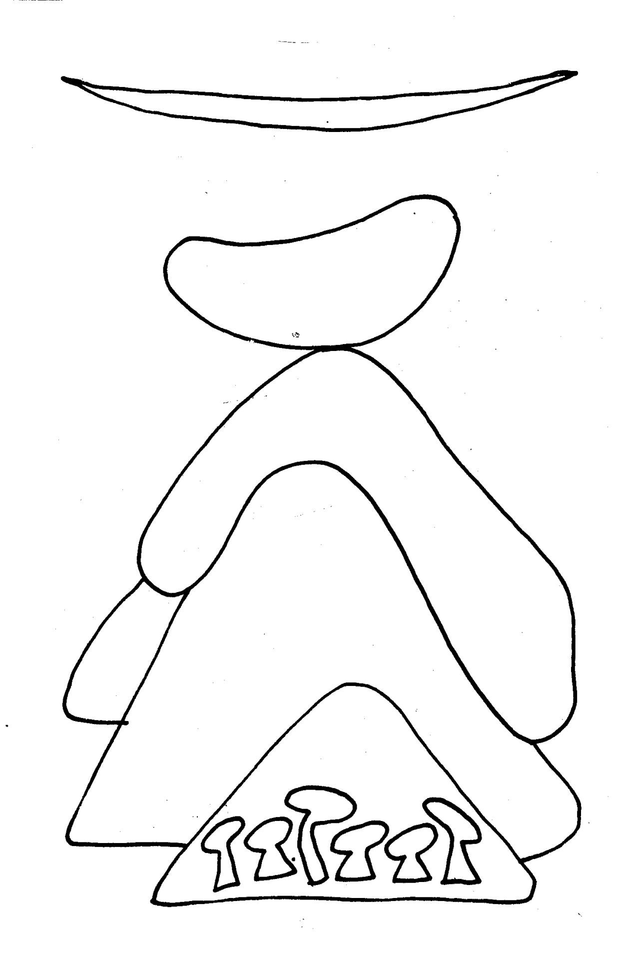
أعمدةً لخيام الوجدِ

إليها يأوى

من كلِّ فجاجِ الليل الضارب فى الحُلْكةِ

مَنْ يشعر بالوحدة والسأمِ

من الأطيافِ



جُنينةٌ على بعد
خمسة عشر سطرًا

سألتُكَ ألاَّ تسألني
فعلى منحنيات علامات استْفهامكَ
ينزلق زلال البيضِ
وينتفض المحُّ
سنانيرَ تموءُ مواءً فوسفورياً
في عصبي السمعيِّ مباشرةً
فأفورُ
وأنسكب رغاءً لجباً فوق حوافي

لا تسألني عمّا أعلمُ
لن تعلم أبداً ما لم تعلمْ
فالزمْ
برعمكَ الشتويَّ بصلب أبيكَ
ولا تبرحْ
برعمكَ الصيفيَّ بمبيض أمّكَ
فالرغبةُ سادرةٌ في التطوافِ

على أثداء الورد البلديّ المفعمِ
بالشبق الصوفيّ
لأن يُحلبَ مدنًا من عطرٍ
يتسمّى الحاكمُ فيها بالعطّارِ
ويضحى الجوريُّ وزيراً
والفلُّ القاضى
والشورى تصبح للنرجس والسوسن والنّيلُوفَرِ
وخزامى القومِ يصيرون الرقباء على كلِّ صحافى

أمَّا كاتمُ أسرار العبق يصير قرنفلةً

وكبيرُ العسس بنفسجةً

والعسسُ رياحينَ تطلُّ من الشرفاتِ

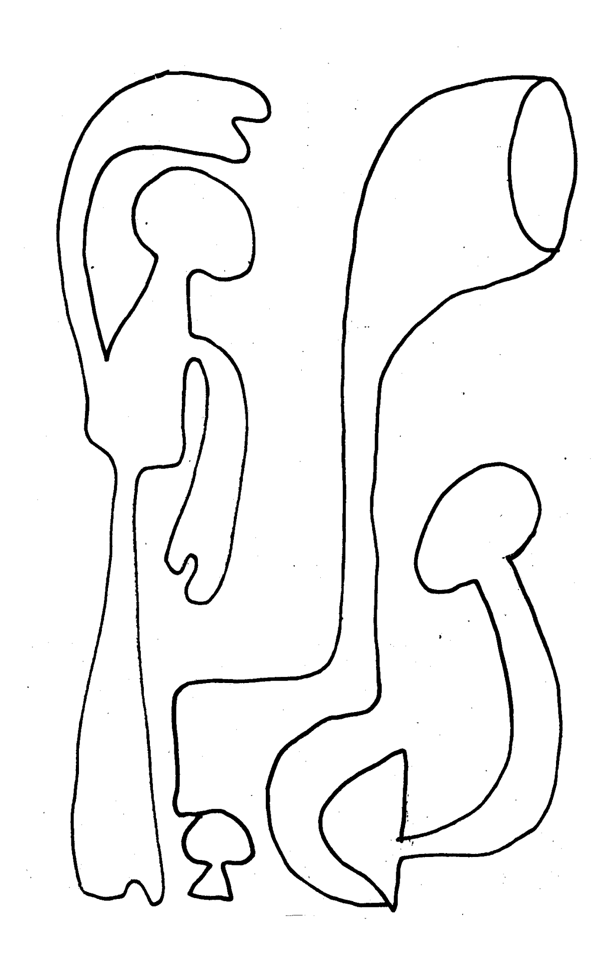
على الشعب المنثورِ

شقائقَ نعمانٍ

تندلق على أعتاب الدورِ

وتسعى في الطرقات المرصوفةِ بالحنّا

والمسقوفةِ بالتوليب الضافي



قراءة خاطفة فى
كتاب القصص

لو تعلم ما أعلمُ
لتحرَّر دمكَ المشكومُ
بألجمة العربات الحمرا
وانْطلق فصيلاً حرًّا
من خيلٍ برىً متعافِ

ألقى السّرجَ وشقّ أعنّتهُ
وتلقّف أجنحةً
من رغباتٍ حرَّى
ـ كانت بين حوافره ودروب الأرض الصلبةِ
تقدح شررا ـ
واصّاعد في طبقات الجوِّ
صهيلاً
لا يشكو العطشَ إلى الريِّ
ولا الجوعَ إلى الأعلافِ

صهيلاً

جاوزَ أشداق النّبرةِ

وتجاوز عند المنتهيات الكونيّةِ

أغصانَ السّدرةِ

فتناثر مع أثمار النّبقِ

وآثر أن يلتئم سحاباً يتخلّلهُ لمعانُ البرقِ

وأن ينفتح كتاباً

دون غلافِ

تقرؤه الأرض المضطجعةُ

في استرخاءٍ

فوق سرير العشب الجافّ

كتاباً عن

ستّ الحسنِ

وصاحبها الإسكافِ

وصاحبها

يخصفُ

نعل النّجم القطبيِّ المتدلّي

عند الأفقِ

ويغرز إبرته المعقوفةَ

في كعب الشفق النزّافِ

ويرفو

فى جلد الليل الأملسِ

رُقعاً

تتّسعُ

وتتّسعُ

مع الفجرِ

على الرافى

ويدندنُ

والمسمار يوقّعُ

فوق المسمار بفمهِ أغنيَةً

تعلنُ:

أنَّ الرزق كما العمرِ

علينا محسوبٌ

لكنَّ عطاء الحظِّ جزافي .

أدنو منه وأهمسُ:

أأدلُّكَ يا إسكافُ

عن الأحسن من ستِّ الحسنِ

يمدُّ النّظرة من زاوية العينِ

إلى شرفتها

ويفحُّ فحيحاً في أذني

هل هي أغنى من ستِّ الحسنِ

فقلتُ لها قلبانِ

من الذهب اللامعِ

والذهب الشفّافِ

فأنشبَ في شفتيَّ
مخالبه السمعيَّةَ
وتوسَّلَ:
خذني للأوَّلِ
فأنا المصفوف أساطيلاً من ورقٍ
في بحرٍ من حبرٍ
وأنا المسطور أساطيراً
في جفن الفقراء الغافي

أيقظْني
من حلم الفقراءِ الغامسِ لقمتَهُ
في ملح الدمع المتحجّرِ بمآقيَّ
أقلْني
عن صهوات طواويسهمُ العريانةِ
فلأحذية الخلق الرائشة بعينيَّ
قوادمُ وخوافي

لو تدركُ ماذا بي
أو كُنْه عذابي
لترجَّل عن مركوبيْ شريانكَ ووريدكَ
دمُكَ الحافي

مهلاً يا إسكافُ
أتانى بعض بريدِكَ
لكنّكَ لو تعلم ما أعلمُ
لشهقتَ
وأغلقتَ
على دولاب النّار الدائر فى صدرِكَ
أضلاعَ الأضلافِ

فلو تعلم ما أعلمُ
لا نُفلق الحجر الصامد في حجريّتهِ
من آلاف الآلافِ
من السنواتِ الحجريّةِ
وهوى من فوق كتوف الأُطواد المنتصبةِ
شالاً.. شلاّلاً.. حلّ على الأرضِ
فشال الصحراءَ من الخارطةِ وحطّ البحرَ
وعينا الرمل الغارقتانِ
تبثّان النظر إلى الحجر السائبِ
في استْعطافِ

لاتسألني

عن سرٍّ يتخفّى كالسمّ بثعبانٍ

يتلوّى في شقٍّ

يخترق جذور الباديةِ

فيحمل ما تحملهُ من كثبانٍ

ويمرُّ بقاع المدنِ

فيرفع عنه أساساتِ مبانٍ

لا تسألني عن ثعبانٍ شرسٍ وجبانٍ

عن سمٍّ كالحتفِ زعافِ

لاتسألني

عن سرٍّ يتوارى خلف ملامحيَ اليوميّة

كي يحجب سحنتهُ عنّي

ويشدّ على فوديه قلنسوتي

لكنّي

حتّى لا يختلط عليّ ويهرب منّي

أصبغه وأعيد صياغتهُ

ما إن يرد على ظنّي

بالسّهر وبالبنّ

فخذْ قهوتكَ السّوداءَ

ولا تلحفْ في استْحلافي

فأنا ما أعلمهُ

لا يعلمهُ

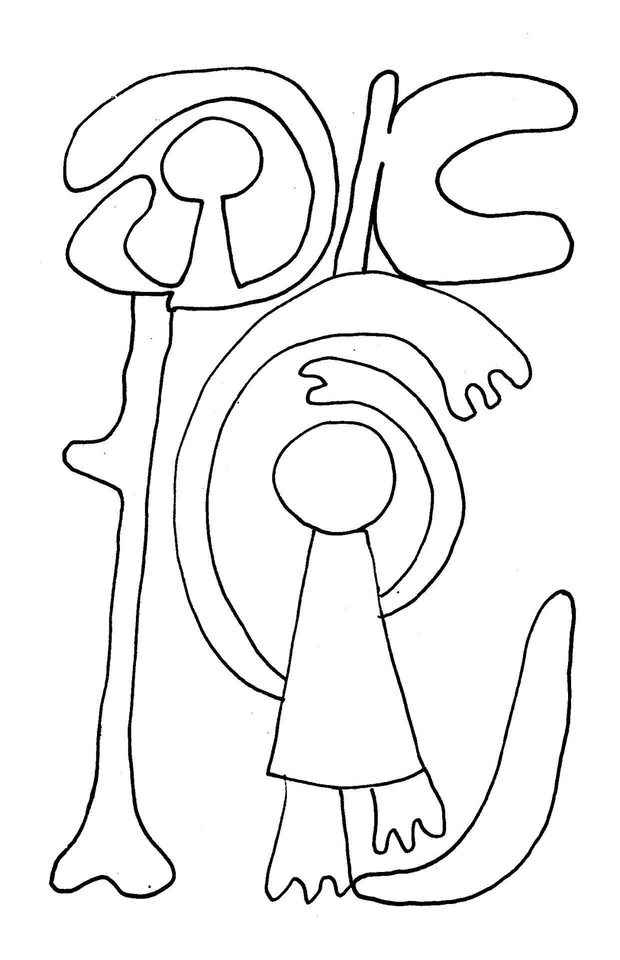
غير الحلزون الميقاتيِّ الخاصِّ بقلبي

والمطروحِ شواءً

محفوفًا بالمقدونس والفلفلِ

ـ هذي الليلةَ ـ

في صينيّة أضيافي



الاقتراب الحذر من صدر البدوى

لاتسألني

عن ضوءٍ محتقن اللمعاتِ

يذوب فتيلاً من شجنٍ عاتٍ

وقناديلاً من لوعاتٍ

لا تسألني والحال كما تشهدُ

عن تاريخ حياتي

عن سيرة أسلافي

في صدري البدويِّ
مضاربُ لقبائلَ متطاحنةٍ أبدًا
عبسٍ وقضاعةَ
وفزارةَ وخزاعةَ
وقريشٍ وثقيفٍ
ونميرٍ وتميمٍ
وبنى عبد منافٍ

أتأبّط حذري

وأنا أسحب بينهمو أطراف إزاري

اسأل عن مُضر بْن نزارِ

لا يلتفت لمسألتي أحدٌ

فتداهمني الغربةُ

ويشطّ مزاري

ويحطّ على كتفي كفٌّ ذوي القربى

ما لم أقربْ من أوزارِ

فينوح على الغصن المكسور هزاري

ويلمّ عليَّ لفيف قبورٍ

وطلائع ويلٍ وثبورٍ

وجماعات أثافي

آخذُ موضعيَ بعيداً

ألتقط الأنفاسَ

أقشِّرها نَفَساً نَفَساً

من أدران الأوبئةِ

وحين تهمُّ بها رئتي

تُقبل أنفُ الناقةِ من خلفي وتبعثرها

أتجهَّمُ.. وأذود مناخرها عنّي

فأعاينني مخترماً بالآنافِ

وفوقي
أدخنةٌ حاسرةُ الرأسِ

تعاني من تاريخ حريقٍ

أملاه أبو لهبٍ

ـ تبّت شفتاهُ ـ

على ألسنةِ النيرانِ

وتحتي

من آثار الآنافِ

دماءُ رعافِ

بينا
صرخاتُ أبي سفيانٍ
تستعدى القرشيِّين على يثربَ حولي
حولي
تاجر أبناءُ أميّةَ في دمِ عثمانٍ
عقدوا الصفقات فصار الدم ذهبًا أسودَ
يُختلفُ عليهِ
إلى أن جاء السفّاحُ بن العبّاسِ
فحلَّ خلافًا بخلافِ

أحببتُ علياً

لكنَّ علياً كان مثالياً

وكرهتُ الحجّاج الثقفيَّ

ولكنّ كراهيتي الحجّاجَ ذبابٌ

يقفُ عليه مراراً

ومراراً يصرفُهُ عنه ببعض الميل وبعض المالِ

ومازلتُ ومازالَ

إلى أن لقّبني بالمصروف اليوميِّ

ولقّبتُ أنا يدهُ بيد الصرّافِ

يلاعبني أحدهمو بأسنّته
ميسوراً كانَ..
وكنتُ أنا محسوراً
أحرس بوّابة جنّته
وأصيح مع الديكِ
إذا ما الفجرُ تسلّق سوراً
من أسوار دجنّته
لِمَ لمْ أقوَ على نفسي.. لا أعلمُ..
لكنّ الحاجة لدراهمه
شحنتْ آليّة إضعافي

بأسنّتهِ يلعب بي

حتّى يقتلني سهوا

فتواسيني أحداقٌ فاترةٌ

تسقينى المنَّ وتطعمني السلوى

فألملم أشلائي..

شلوًا شلوا

وأراني حين أصير صريعَ غوانيهم

أحيا من قتلى

وأنا لا أذكر من عمرى الفائتِ

غير اليمنيّاتِ برحلات الأشتيةِ

وغير الشاميّاتِ برحلات الأصيافِ

عملتُ بناديهم ـ بعضَ العمرِ ـ كساقٍ
وعرفتُ دُنا أسرارهمُ الدنيا
تحت غواية خمرٍ أمزجهُ في حذقٍ
أخبرنى أحد السّادة
أنّ القافلة القادمةَ محمَّلةٌ بحبوب الهلوسةِ
وأن الهلوسةَ فراديسٌ من صنع الرّومِ
وأن الرّومَ حميمونَ
ألا فلتسقط بين الضّاديّين جميعُ الأحلافِ

أصختُ السّمعَ لهُ
أفرغ ما في جعبتهِ..
وتجشّأ
فاستفرغتُ
وكان الغسق أمامي طفلاً أعشى
يتعثّر في ناشئةِ الليلِ
خرجت إليه أساعدهُ
فمشى
مستنداً بذراعي
بين الأسدافِ

مشيتُ مع الليلِ
يسامرني وأسامرُهُ
تأخذهُ من إطراقتهِ طُرَفي
وتخفّف عنّي السقْمَ نوادرُهُ
حتى طالعنا قصرٌ صحراويٌّ
تسهر فيه الأنجمُ
بعد أفول أشعّتها الرسميّة للظهرِ
مقابل أجرٍ للساعات الزائدة إضافي

خَبَلَتْني خلجاتُ خصور خرائدهِ

خلف غلالاتٍ شُغلتْ بالغلمةِ والغنجِ

تهيّبتُ

ولكنّي حين شبَبتُ

سُلبتُ.. فشبَّبتُ بأطراهنَّ

فأطراني غبشُ الفجرِ

بصوتٍ فضّاحِ

إذ ذاكَ وجدتُ على عنقى المفضوحِ

سيوفَ الحرّاسِ الأجلافِ

هنا في صدري البدويّ
تراثٌ وثنيٌّ
وبناتٌ موءوداتٌ
ينفضْنَ غبار الوأد عن الوائدِ
وذبالات عقائدَ
تقسم باللات وبالعزّى
وإطارات قلائدَ
تحمل أيقونات الزمن البائدِ
من منظورين: وراثيٍّ وثقافي

في صدري الوثنيِّ
عبيدٌ لم تُعتقْ
وإماءٌ تمتنع عن النسلِ
ولا تأبى الحرثَ
وكهّانٌ تقعد فوق حجور الآلهة الخنثى
ليلاً ونهارا
وقرابينُ تسيل دمًا بشريًّا مدرارا
في حلقومٍ شرِقٍ بالتجديفِ
وغاصٍّ بالإرجافِ

تراثٌ في صدري

ألعنهُ لعنا

وثنًا وثنا

ملٌّ بمتحفىَ التذكاريِّ السكنَ

وينتظر الغين الغائبة المتردّدةَ

على غرف الغفلةِ والغفوة والغيبوبةِ

كى يتبركنَ

كى يتفجّر فتنا

أودعتُ لفائفه المتعفّنة سراديبى السفليَّةَ

فانْفلتَ عفاريتًا ماردةً

من أحشاء قماقمَ

فُركتْ فى أكنافى

وانْبعث طواطمَ

من رغباتٍ فاحشةٍ

ومخاوفَ موحشةٍ

تصرخ في وجهي

فيؤول إلى كهفينِ

يرابط في أحدهما بعضُ الفتيانِ

وكلبهمو دونهمو

مبسوط الأطرافِ

وفي الآخرِ

ماموثٌ

يضع على كِلْس محاجرِه الناخرِ

نظّاراتٍ

في لون رماد الغليون المطفأ

في فمه الساخرِ

ويطالع بين الحقبة والحقبةِ

ساعةَ معصمهِ

باستخفافٍ



من بلقيس إلى
جليلة بنت مرَّة

لَمَّ الزمنُ عقاربَهُ
وانْتبه إليَّ
وسوَّى شاربَهُ
أدركتُ بحسٍّ الفاء الكامن فيَّ
دلالةَ ما لا يدركه غيرُ الفائيّ
وغيري
من سرٍّ خافي

فقفزتُ بخوفي

في بحر رمال الرّبع الخالي

يتبعنى رجلٌ أرخى لي

عينيه فأبصرتُ بيمناها عمّي

ولحظتُ بيسراها خالي

كان بإحدى أذنيه المثقوبة قرطٌ

يتقصّى - أنّي دبّت ساقي - هزّة خلخالى

أطلقتُ على الريح الهامدةِ شراعي

وضربتُ صدوغ الأمواج الجامدةِ

بظاهر مجدافي

لكنَّ الدفّة كانت بأجنّة وجهاتي حبلي
ففتَلْتُ من العرق الغائص فى السرِّة حبلا
يسمح لي أن أتجوّل فى دائرةٍ
نصف القطر بها مقدار خلاصي
لكنّى أنسى أحيانًا
فتلفُّ على خاصرتي
خلجانٌ وفيافي

رحتُ أسرّي عن نفسي في تيهي
بقراءة شعرٍ مهووسٍ بالتشبيهِ
يسوق مدائحهُ
حتى يقع على النّصل العاري للتأليهِ
فأرسلتُ بدرعي المسموم المعدنِ
للملك الضلّيل يشاغلهُ بالقرْح المزمنِ
حتى يرث الخمرَ اليوم وأرث الأمرَ غداً
لكنّ الغدَ أخلف موعده المضروبَ
ومثلي موعودٌ بالإخلافِ .

فكم من أحلام اليقظةِ ربّيتُ ببالي
حتى صار النّومُ عزيزَ الإقبالِ
وكم لعلع وهمٌ مائيٌّ في آلي
فتركتُ إليه منازل آلي
كم من لفظٍ مجنونٍ طاردتُ
فطاردني الشعر الموزونُ
وراحت لثلاثتنا الفاءُ المجرورةُ
تنظر من عربتها المكسورةِ
في استنكافِ

أمرتني أن أحشر سربالي
في سروالي
وأغضّ الطرْف عن السجع البالي
وأوالي
ترحالي
أسررتُ بحالي
لرحالي
فنأتْ عنّي ليلاً صحراويّاً
ثم أتتني بأسيرٍ يمشي كالهدهدِ
أخبرني عن بحرٍ مسجورٍ مسحورٍ
من غير مرافي

أعبرهُ..
حتّى أصل إلى امْرأةٍ
تشبهها بلقيسُ
غرقتُ بحزني غرقًا أنسانى حزني
والرغبةَ في الطفوِ
غرقتُ بذاتي
في دعةٍ وهدوءٍ وأناةٍ
لكنْ مرآتي
قالت لي حسبكَ تمويهًا
فالحزن على وجهكَ طافي

قلتُ لها:

وافاني قبل السّاعة أجَلي

ليس الحزن الآن لأجْلي

بل هي بلقيسُ تجيء إليّ

تقول أما من رجلِ

أسألُه فيجيب على خجلي

هل أرفع ثوبي عن رِجْلي

هل أخلعهُ بيديْ وَجَلي

من بعد أن استخلعني

بوّابُ القصر خِفافي

هى بلقيسُ تجىء إليَّ بموتى

تشكو لي

أنّ سليمانَ يكشِّف عن ساقيها المرمر

يدهشها.. ويعرِّيها

يدهشها أكثر.. فيعرِّيها أكثر

ماذا أفعلُ

وأبوه يواصل ضرب دماغي

بزوايا نجمتهِ

عفوكِ يا بلقيسُ

قد انْفلقت أقحافي

تشحب في قلبي بلقيسُ
فأنكفئ على ذكرى آلامي
لكنيّ أهتبل الفرصة حين تمرُّ بسوسُ
أمامي
فأسوس بعيرى قُدّامي
يرعى في كلأ البكريّينَ
ليغتال الجسّاسُ كليباً
حتى تخلوَ لي أحضانُ جليلةَ
وأقرّ بها
فأقرّ بلحدٍ مزدحمٍ بالأجيافِ

أولّي رعباً
وأفرّ فرار الأطيار من الزّوبعةِ
إلى أركان الأرض الأربعةِ
أهاجرُ..
وأعود بقافلة الأصداءِ الإفرنجيّةِ
شاداً فوق عمامتيَ حواف القبّعةِ
وأنخرط غريب الخاطر في ترحالي
ثانيةً..
لكنْ بخيالٍ أوحى لي
أنّ دروب الأوحالِ
دليلي للماءِ..
وأنّ الماء ختام مطافي

فجعلتُ أغذّ السير على الطرقات الزلقةِ

تحت العينين وفوق القدمين ضبابٌ

يفجؤنى بالمرتفعات المكذوبةِ

ويراوغنِى بالمنخفضات المختلقةِ

علّمتُ خطاى مماشاة الرِّيبةِ

وشَدَدْتُ

على سلسلة مفاتيح مسالكىَ الحلقةَ

بعد الحلقة

حتى أشرفتُ على حافة وادى الأزيافِ

نزعتُ القبَّعَةَ المحشوّة بعمامتيَ المعصوبةِ

عن رأسي

عاد خيالي المطروح ورائي..

دوني

وانداح هواجسَ تغدو وتروحُ..

بدوني

وبلاداً تقترب مردِّدةً:

عودوني

وتغيبُ

وأوطاناً

تُستبدل ما إن نبلغها بمنافي

اعترافات عنترية

تلفحني الشمسُ..

تلوّحني

في رحلتيَ المشدودة بخيوط أشعّتها

وأنا للشدّ الدافئ منقاد

حتى صرتُ العبدَ بْن الأمَةِ

فأنكرني السيِّد شداد

أهتفُ

ياعبلُ أجيبيني

يا آخرَ أملٍ

يملأ أرجاء جبيني

في أفق الصحراء المفتوحِ

يضيع هتافي

يا عبلُ

أنا عنترةُ أتيتُ

سحبتُ الليل قطيعاً من أسري أبنوسيِّ البشرةِ

خبّأتُ الفجر العاجيَّ بحشو ضروسهمو

ووضعتُ شموس الظهر المتوهّجِ

تحت الألسنةِ

على هيئة أقراص النعناعِ

وقلتُ لحرّاس حدود السّهر مع السّهدِ:

يعانون العنّة والهمّ وفقدان الجدوى

أُخرجهم حتّى لا تنتشر العدوى

قالوا اللّهمّ الشّافي

ياعبلُ
أضعتُ بعيداً عنكِ
لكي أدنو منكِ
حشاشةَ سنوات العمرِ
غسلتُ صحون الحيرة
وأكلتُ نفاياها
وشربتُ عصير الزّقُّوم المرِّ
إلى أن جمّعتُ نياق النعمان الحمرِ
ولكنّي في رحلة عودتيَ إليكِ
ذبحتُ نياق النعمان الحمرِ
بسكّينة نجم الليل الكشّافِ

رشوتُ القمر البصّاص بألفٍ
والبرق الجاسوس بألفٍ
وأتيتكِ يا عبلُ
بقلبٍ ألِفَ الشّوق إلى عينيكِ
وعيناكِ صراطا فردوسٍ
يضيقان عليّ..
يصيران كحدىْ موسى
أنشطر إلى أنصافٍ أربعةٍ
هل أطبقتِ جفونكِ يا عبلُ
على أنصافي

ما أظلم أن أطلب من ظلمة ظلمكِ
أن ترفع برقعها المتكاثفَ
طبقاتٍ من ديجورٍ
عن أهدابٍ تتخفّى بين خمائلها
فتياتٌ كالحورِ
يضفّرن بأمشاطِ البلّورِ
جدائلهنّ الشقراءَ
ويعقدهُنّ على جبهاتٍ من نورٍ
ويغنين عن القسمة والحاصل والمقدورِ
وعن عثرات الحظِّ وعن أزمنة الإنصافِ

أحبكِ يا أخت الروحِ

بكلِّ جروح القلب المجروحِ

أحبكِ حباً

لو كان له كفٌّ لتفرّق فوق مفاتنك العاريةِ

أصابعَ تكْفيكِ الأرديةَ

وكفّكِ عنّي

وأحبك حباً.. لو كان له صدرٌ

لالْتفّ عليكِ ضلوعًا تحت ضلوعكِ

واستلب فؤادكِ منّي

أصفُ السّيف البارق يا عبلُ بثغركِ إذ يتبسّمُ

فأودّ أقبّلُهُ

آهٍ.. ذبحتنى خدعة أوصافي

تعرفني البيد وأعرفها

صفوٌ لا يتكدّر أبداً

تعرفني الهيجاء وأعرفها

كدرٌ لا يصفو أبدًا

لكنّي لا أعرفُ

هل هو كَدِرٌ قلبكِ نحويِ

أو

صافي

يا عبلةُ فاض بيَ الكيلُ
رماني أبعدَ من واديكِ السيلُ
ووراني حتى أخفاني
عن ذاكرتكِ يا ناسيتي الويلُ
وجرّدني من أوسمتي
أصبحتُ أمام حضور محاكمتي
مسخًا مغلوط النسبِ
نَفيتُ
ولكنْ حين رأيتكِ شاهدة الإثبات عليَّ
مضغتُ لساني النافي

فأنا لم أشهدْ بدراً
وأنا لم أثْبتْ في أُحُدٍ
وتزلزلتُ أمام الأحزابِ
ولم أُشهرْ عوداً من حطبٍ
في وجه مسيلمةَ الكذّابِ
وفرّت ركبتيَ اليمنى منّي يوم حنينَ
وركبتيَ اليسرى في صفّينَ
وثبّتُّ معاويةً كالخاتم في إصبعيَ البنصرِ
وتوخّيتُ الصّمتَ
وسيفُ ابْن أبيه يطيحُ برأسِ شريف الأشرافِ

ورحتُ شقيَّ النفسِ
أنادم ديكَ الجنّ
وأشرب في جسد الجارية المطفأ..
ناراً كالخمرةِ
وهو يعبّ من الكأس المجبولةِ
من قلب فتاهُ..
وينشدني
مرثيّات العترةِ من آل البيتِ
إلى أن أتلفني
وبكي من شدّة إتلافي

أردفني خلف قصائدهِ
وتجوَّل بي في أطلال طليطلةٍ
وعلى الدرب الراجع قابلتُ
على مفترق طريقيْ قرطبةَ وأشبيليَّةَ
مَلِكًا أندلسياً
كان ينوح كما النسوةِ
يبكي مُلْكًا لم يحفظْه كما رجلٍ
أردفتُ قصائدهُ خلفي
فشقيتُ..
شقيتُ بإردافي

ريم على القاع

آهِ..

لو تعلم.. ما أعلمُ

لو نشرع نحن الإثنان معاً

في استدراجي

من أحراجي

توطئةً لاستكشافي

صدري

أدجي من قاع محيطٍ

ينتظر الفوران البركانيَّ الموعودَ

لكي ينعم بالنظر إلى بستان طحالبِهِ

ويعاين آباط الجسم المرجانيِّ النائمِ

حين يفاجئه السيَّال اللهبيُّ

فيفزعُ..

ويحاول أن يستر عبثًا

عرْيَ الأعطافِ

يصيد الشوقُ
بشصٍّ من شغفٍ
سمكةَ قلبي
تقفز من مقلاة المعشوقِ
إلى باطيةٍ من زيت العشق المغليِّ
أنادي: الرحمةَ
فيطلُّ عليَّ ابْن الزيّاتِ
ويغرز في لحمي التنّورِ الشوكةَ والسكينَ
فيسعفني
لا وعي الموتِ
فأشكر كفيه الباردتين على إسعافي

صدري أدجي من قاع محيطٍ مازالَ
ومازلتُ أراهن منهوش القلبِ
على فجرٍ منفجرٍ
يتعاقب فيه شروق شموسٍ
كانت قد غطستْ في أمواه مغارب عمري
غطستْ
حتى نفذت من شبكات الصّيادينَ
ومن بين بلاطات القاعِ
إلى حيث انتبذتْ نُقَرًا قاصيةً
في فجوات الأجرافِ

وراحتْ

شاخصةً

تصغي

لصفير البدء المضبوطِ

على ساعة إيقافي

أتعب مجتمعَ شموسى السرىً طويلاً
إرهافُ السّمعِ
فأرخى الحرص وأوغل فى الثرثرة قليلاً
ألفى بعض الماء المثلوج إليه سبيلاً
إذ ذاكَ
سمعتُ صراخًا مخلوطًا كالغرغرةِ
وأبصرتُ بخارًا مضغوطًا
يركض فى صدري
فحبستُ النفَس وأرهفت الحسّ
وواظبتُ على إرهافي

أتعبني الإرهافُ بدوري فغفوتُ
وكان الحلم أمامي صخريَّ البوّابةِ
ينفتح إذا ما قلتُ افتحْ يا ....
ياه..
نسيتُ.. نسيتُ
على بابا
أخبرني كيف يصير المرء فضولياً
وظريفاً
قنّاصاً للعير الشاردة من القافلة المنهوبةِ
وشريفاً
لصّاً لشيوخ المنسرِ
يخطف ما يخطفه الغيرُ من الغيرِ
فلا يتسمّى أبداً باللصِّ ولا بالخطّافِ

وأخبرني
كيف يعيش المرء سعيداً
بضميرٍ مزدوجٍ
يُودي بأخيه ويغشى محبوبتهُ
لكنّ على بابا لم يخبرني
بالرقم السرّىّ الفاضّ مزاليج الصخرةِ
حتى أيقظني من حلمي
عَدْو فهودٍ
وأسودٍ ونمورٍ
في إثر أيائلَ
ووعولٍ وزرافِ

آهٍ.. لم تعلمْ أنّ بصدري

أدغالاً

تتعانق فيها الأشجار العملاقةُ

يقع الظّلُّ على الظّلِّ.. فيسمكُ

أقطع منه حديد رماحي

لأواجه قطعان الفيلةِ

تغزوني كلَّ صباحٍ

فيصير نشازًا فوضاوياً

إيقاعُ القلب المنتظمُ

ويختلط الطبل الإفريقيُّ بهِ

مع صرخات غزالٍ

ينهشهُ جاموسٌ وحشيُّ الأظلافِ

هنا في صدري
أدغالٌ
إستخلفني والدىَ عليها
ومضى
وأنا مازلتُ صبياً
كان عليَّ اسْتئناس الأشبال بها
ففعلتُ
إلى أن برز الوحش الكامن فيها
ما أشقاني
يا أبتي باستخلافي

في صدري أدغالٌ
تتقزّم في آخرها الأشجارُ
تصير شجيراتٍ متوسِّطةً
فشجيراتٍ أطرى أغصانا
فحشائش ساقانا
فمروجًا معشوشبةً
تُفضي لمشارف أريافي

قلب الجُمَّيز

في صدري الريفيّ الوشمِ
حقولٌ شاحبةُ الخضرةِ
وسواقٍ سبعٌ
تنتحب نحيباً ممروراً
كنخيب القلب المجفوّ
أمام القلب الجافي

ينهض عن صدري الوشمُ الرّاقدُ
يتسلل بالليلِ
مع الأشباح المعروفة بالسِّيماءِ
وبالإسمِ
إلى حيث الآلام تنامُ
فيوقظها
تجتمع الآلام على قلبي
فأعالجهُ بالشّاى الأسود والتبغِ
ونشرع نتذكّر
كم من أيامٍ مجحفةٍ عشنا
لكنّا لم نستسلمْ يومًا للإجحافِ

زرعنا الليلَ نجوماً نيِّئةً
تنضجُ
إذ نشعلها بالروث اليابس والقشِّ
وحين تضيءُ
نلمُّ حواليها حلقاتِ مواجدنا
ونغنِّي في مرحٍ
مع ميراث الحزن بداخلنا
متكافي

يشفُّ الجسم وأبرأُ من أعضائي

يرضيني قدري

وقضائي

يصبح من بعض رضائي

أتصالح مع كلّ المخلوقات الشرّيرةِ

في رأسي

ورءوس الأخوة والأعداءِ

فأشفي من دائي

وأخفُّ وتثقل أجفاني

فيصفُّ الجمّيز حصيري تحتي

ويشدُّ عليَّ لحافي

لكنْ..

كان بقلبي إرث الحزن ثقيلاً

يتساند حين يقومُ

على جذع الجمّيز المادّ سواعدهُ

بالأثمار المتواضعةِ

ألوك الثمرة بعد الثمرةِ

أخرج من حزني

حين تحدّثني عن طينٍ

كعجين القرفة والمسكِ

عصاراتُ الأليافِ

دلّني الجمّيز كثيراً

حتى أفسدني

رحتُ أحكُّ بحرف الحجر الجيريّ

حروف التّاء الياء الميم الواو الراءِ

على الجذع الحاني

عشراتِ المرّاتِ

لعلّي أستشرف آفاقي الباطنةَ

وقلبُ الجمّيزِ

يحثُّ خطاي إلى استشرافي

تيمرتُ نياط القلب الجمّيزيّ

ولم يتوجّعْ

طمّعنى صبرُ الجمّيز عليّ .

فراح صباى المتوثّبُ

يحفر فى ألحية الخشب الطيّبِ

كلماتٍ أخرى

ويدسُّ بها أجراساً من ذهبٍ

في حجم حبوب العدسِ

تدقُّ

إذا ما هزّتها

أجنحة نسيم العصر الرفّافِ

إلى أن كان بلوغي سنَّ الحلمِ
همستُ إلى الجميز خجولاً
بمعاناتي
فتبسَّم في خبثٍ
وأشار عليَّ ببعض الحِلْمِ
تأفَّفتُ
فقال عليكَ إذنْ بالحُلمِ
حلمتُ كثيراً
تحت ظلال الجمَّيزِ
بخطبتيَ الموعودة لفتاة الشمس الريفيَّةِ
وزفافي

أولمتُ جميع الصبيةِ

في صدري الصابي

وجميع صباياها العذراوات الأبدانِ

وقدّمتُ

قصائدي الحافلةَ

بوجداني الداني اللهفةِ

أطباقًا ساخنةً

فوق صحافي

مرّ الوقت كعادته السريّةِ
بملامح وجه حبيبتيَ الرّيفيّةِ
وتوغّلتِ الشيخوخةُ
فيما بين الحاجب والجفنِ
وفيما تحت الأنف وفوق الثغرِ
وفي الثغرِ
وفي أغصان الجمّيزِ
وشحّ الثمر رويداً
ورويداً
عجز الفيء الجمّيزيُّ عن الإيرافِ

وجفَّ

معين الشعرِ

وكفَّ

نحيب سواقيَّ السّبعِ

كذا

واحتبس الدمع بعينيَّ

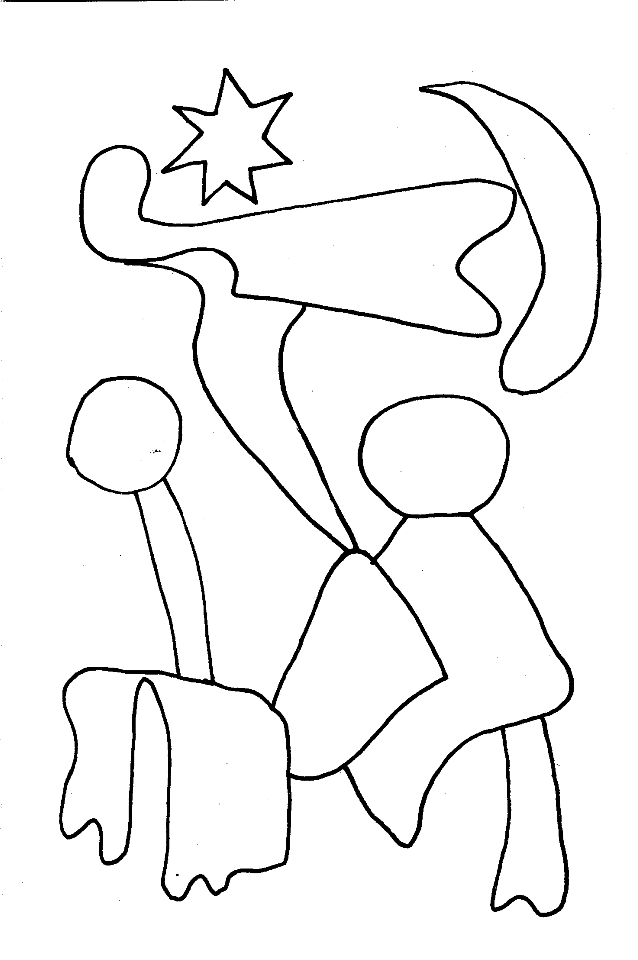
وبانت بين شقوق خدودي

فقرات عظام السمك الناشفة

كذلكَ

حلّتْ سنوات جفافي

أدركتُ
ولم يعِ غيرُ الفائيِّ وغيري
ما أدركني من تغييرِ
أخلاني من شوقي للخُلاَّنِ
وخَلاَّني
رغم وجودى بالجسد إلى الآنَ
أحسُّ .
بأنِّي يوم اقْتطِف الجمَّيز بروحي
قد تمَّ قطافي



فانتازيا ما قبل الختام

رتّبْتُ حقيبتيَ

وقلتُ: السّفرُ

إلى مدن الدهشةِ

ـ حيث محطّات اللحظات البكرِ

وأرصفة التّجربة الأولى

وميادين السّاعات الخارجة عن التّقويم اليوميّ ـ

عزاء القلب المكتئبِ

ومن هذا الفكرِ

بدأتُ طوافي

آهِ.. لو تعلمُ

أيّ أطالسَ

ـ خَلَطَتْ فيها الألوانَ المائيّةَ

فرشاةُ المطرِ

على ورق الشجر المصقولِ ـ

ذرعتُ

وفي أيّ تضاريسَ تفرَّعْتُ

تفرّعتُ

إلى أن سقط عن الأرضِ

على الأرض هشيماً

مقياسُ الرسم الجغرافي

سألتكَ أن تسألني

أيّ بلادٍ زرتَ

أنا زرتُ بلاداً تتسمّى بجمادَي

تُرضع من ثديٍ ناتئةٍ كالهضبة أولادا

كثمار الكمّثرى

حتى إن هلّ عليهم مسرى

صاموا كعذارى يرقات القزّ

إلى أن يقبل كانون الثانى

فيشقّون حرير شرانقهم

ويصيرون فراشاتٍ

تسبح في ضوء القمر الهافي

لليالى يوليو

أذكرُ أنِّى زرتُ بلاداً

تطبخ كلَّ مساء ثلاثاءٍ

أنثى شيطانٍ في مرق خطاياها

وتدور على الكبد الإبليسىِّ معاركُ

تُفني من تُفني

حتى يهبُ الشيطانُ

مساء الإثنين التالى الأنثى التاليةَ

فينفجرون فجوراً

صُنِّف فى الموسوعاتِ

ففاق جميع الأصنافِ

تراهم

فى سمت الممسوسينَ

يقيمون سرادق رقصٍ عربيدٍ

ينقلبون على الطينةِ

وتغوص رؤوسهمو في بطءٍ

حتى تعتاد أنوفُهم الأنفاسَ الطينيّةَ

ثمَّ تغوص خواصرهم

حتّى لايبقى للناظر منهم

غير حقولٍ من أردافٍ

أذكر أنّي زرتُ بلاداً
تركب عنقاواتٍ وتطير بها
في سقف العالمِ
وتحطّ على جزرٍ نائيةٍ
يتسمّى فيها بوذا بالخضرِ
وسالومى بابْنة عمرانٍ
وزهور القنّب بزهور الروحِ
وأثمار االخشخاش بأثمار القلبِ
وفتحة ثغر غريق البحرِ
بإشراقة وجه المصطافِ

وزرتُ بلاداً

من نخل البلح الأحمرِ

وبلاداً

من نخل البلح الأصفرِ

تترامى بالأنويةِ

فتسّاقط فوق السعف قنابلُ

فيصير البلح الأحمر رطباً

والأصفرُ أمهاتاً

ويصيح النخل المشدوهُ:

حَنانَيْكَ

خفيٌّ الألطافِ

سألتكَ

ألاَّ تسألني

عن رحلتيَ الآخرةِ إلى بلدٍ

لم أخرجْ حيّاً منهُ

دخلتُ إليهِ

تشدّ برادةَ خطواتي

من حدوة فرسي

مغناطيسيةُ تلهافي

كان القصرُ ـ بهذا البلد ـ منيفاً
والسّلطان الجالس فوق سرير العرشِ
ـ وقد أدمن سردي لعجائب رحلاتي ـ
حين يخالجني الصمتُ..
عنيفاً
كان النّهَمُ إلى أسرار الغيب المستورِ
وراء حجاب الزمنِ
وخلف نقاب العالمِ
يستنزفُهُ استنزافاً
يدفعهُ لاستنزافي

حينَ يخالجني الصّمتُ
يصيحُ بحنجرةٍ
تؤوي بعض البوم المتربِّصِ
بحديثي في الليلِ:
إليَّ بسيّافي

ويصفّقُ

يطلب نطعاً تذكارياً

لم يُستعملْ

من ألف نهارٍ

حتى أستأنفَ

فيصفّق طرباً

لاستئنافي

لكنَّ
خفافيش الصّمت الآن التصقتْ
في سندانيْ شفتيَّ
وتأبى أن تترك مطرقة لساني
ماذا أفعلُ
والجنيُّ الطيِّب صرصامُ
توقَّفَ
عن إقراضي القصصَ
وسلطاني لا يتنفَّسُ
غيرَ هواء القصِّ الوصّافِ

أما من زادٍ
يا جنيَّ الطيِّبَ
فالسّلطان تململَ
في جلسته السّلطانيةِ
وأنا عريان الروحِ
وممتقع النفسِ
ومكشوف الذاتِ
ومرتعد الأكتافِ

فتنظر لي
دنياناز الحلوةُ
تعطينى حبّة هالٍ في حجم القلبِ
وتأمرني أن أستحلبها
حينئذٍ
ينطلق لساني من محبسهِ
يخلع عنه قميص القاصّ
ويلبس قفطان العرّافِ

وينطلق بعيداً
حتى يأخذ معهُ
تفّاحة رأسي المعطوبةِ
من جذر العنقِ
فيطلع من فتحة صدري
حيث مكان الياقةِ
كالباقة
فردوسٌ من سروٍ أحمرَ
ممشوقِ القامةِ هفهافِ

يقرؤني

مَلَكُ الرّيح القادم من ناحية المغرِبِ:

«بُحْ»

يقرؤني

ملكُ الرّيح القادم من ناحية المشرقِ :

«حُبْ»

وأنا الغائصُ

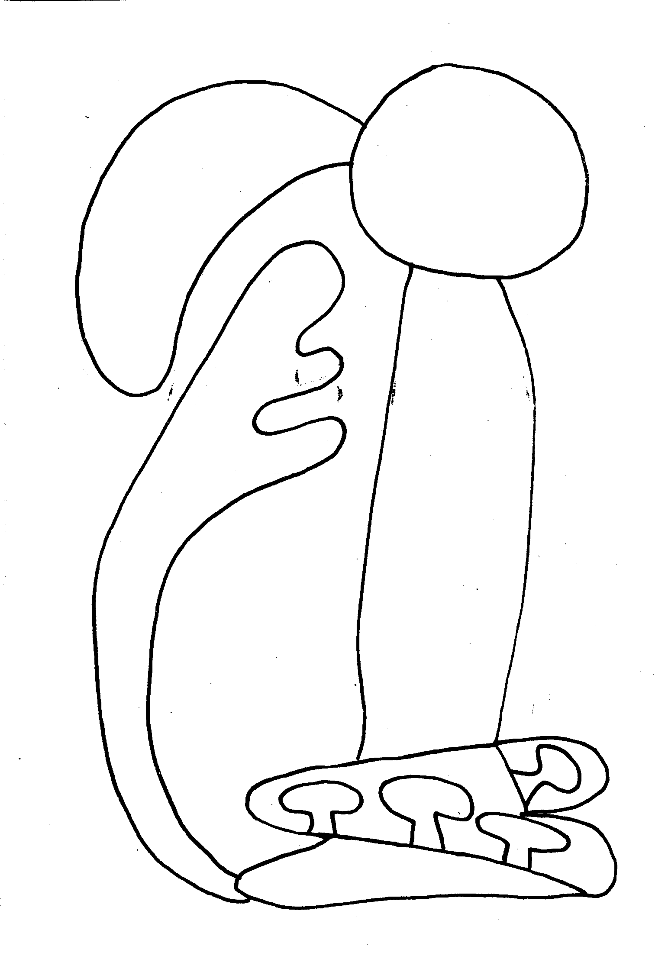
تحت جذور السروِ

أطالعني:

بُحْ بالحُبِّ

يحرّرْكَ الحبُّ

من الصمْت الخوّافِ



تسبيحة الختام

آهِ

لو تعلم ما أعلمُ

يا من كنتَ السّاكنِ صدري

لكنّك لن تعلم أبداً

إلاّ ما يعلم مِن

«كُنْ»

حرفُ الكافِ

فسبحان الواهبِ
عودَ ثقاب الشّمس الكبريت الكافي

والواهبِ
آلةَ عين الإنسانِ
شريطَ البصر الوافي

والواهبِ

للشعرِ

بحور عروضٍ شاسعةٍ

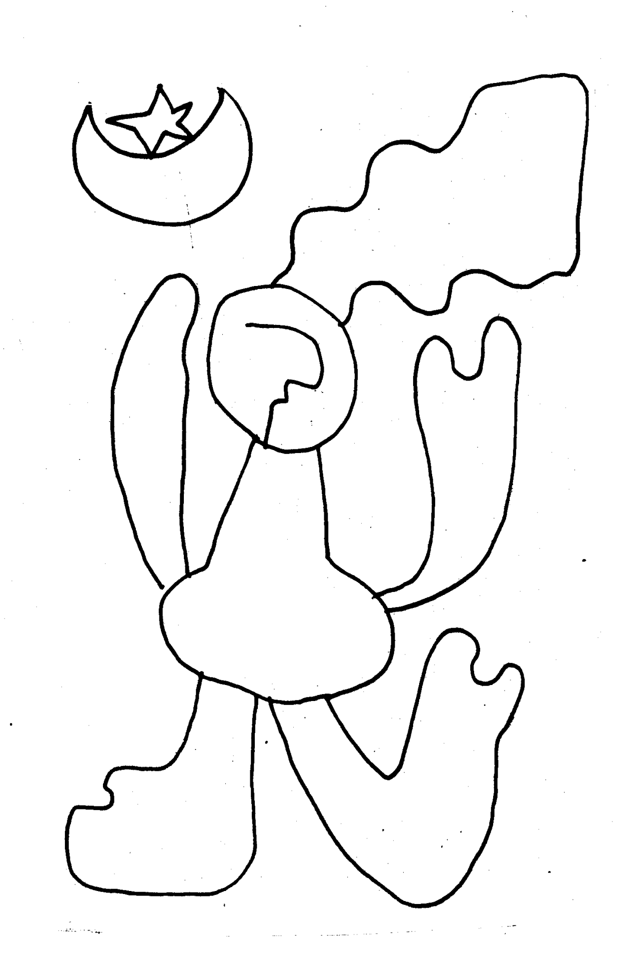
وشطوطَ قوافي

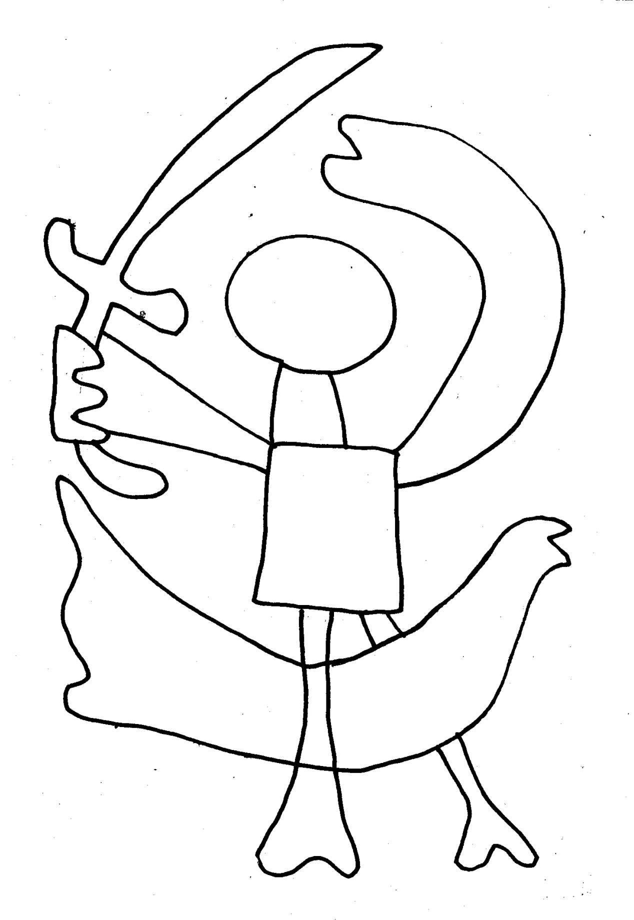
ونصيبَ خيالٍ ما

فى بعض الأحيان يصيبُ

وفى كلِّ الأحيان خرافي

د. أحمد تيمور





١٠٦٥
٢

◆ دليل ◆

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٦٨